

المعرفة والمجتمع المعرفي

بحث للدكتور وفاق حافظ (كلية الاعلام - الجامعة العراقية)

المبحث الاول

• المعرفة: تعريفها، أنواعها، مستوياتها

لقد اشار تقرير التنمية الانسانية العربية لعام 2003م الى ان المعرفة تتكون من البيانات والمعلومات والارشادات والافكار، او مجمل البنى الرمزية التي يحملها الانسان او يمتلكها المجتمع من سياق دلالي وتاريخي محدد، وتوجه السلوك البشري فردياً ومؤسسياً في مجالات النشاط الانساني كافة في انتاج السلع والخدمات وفي نشاط المجتمع المدني والسياسة وفي الحياة الخاصة.(1)

وجاءت التعاريف المناطة للمعرفة بإختلاف وتفاوت كبير في مضامينها ولم يعط تعريف وافي لها، فمنهم من عرفها " عبادة عن مجموعة المعاني والامعتقدات والاحكام والمفاهيم والتطورات الفكرية التي تتكون لدى الانسان نتيجة لمحاولات المتكررة لفهم الظواهر والاشياء المحيطة به "(2) وعرفها اخرون بانها الاحاطة بالشيء اي العلم به والمعرفة هي اشمل واوسع بالتاكيد من العلم ذلك ان التي استطاع الانسان باعتباره كان لديه العقل الذي يفكر فيه ان يجمعه عبر مراحل التاريخ الانساني الطويل بحواسه وفكره وعقله.(3)

ويخصص قانون اكسفورد للغة الانكليزية Oxford English Dictionary خمسة اعمدة لشرح كلمة معرفة ومن بينها:

1- الاستيعاب العقلي الواضح والاكيد.

(1) المكتب الاقليمي للدول العربية، تقرير التنمية الانسانية العربية لعام 2003م نحو اقامة مجتمع المعرفة، عمان، المطبعة الوطنية، 2003م ، ص 36.

(2) معتصم زكي السنوي، المعرفة والعلم الحقيقية، مجلة المعلم، متوفر على موقع www.darabonline.org

(3) ابتهاج الصلوي، البحث العلمي واهمية في ميادين العمل، الموسوعة العربية للكمبيوتر والانترنت، 11 آذار 2004م ، متوفر كذلك على موقع الموسوعة الالكتروني على شبكة الانترنت.

2- عملية الفهم من حيث كونها حقيقة او حالة او ظرفاً، الفهم النظري او العملي لأحد الفنون او العلوم او الصناعات...

3- المعلومات التي يتم اكتسابها بالدراسة او التعليم او التجربة او سعة الاطلاع. وبذلك فان المعرفة ما هي الا معلومات مخزونة عن حقائق ومفاهيم يمكن تطبيقها، اذ ان المعرفة يمكن ان تكون معرفة موضوع او معرفة كيف تقوم لعمل ما او معرفة كيف نجد معلومات، فهي اصلاً تتكون من حقائق ومعتقدات ومفاهيم وافكار واحكام وتوقعات. فالمعرفة نتاج لعناصر متعددة والتي من اهمها:

1- المعلومات 2- البيانات 3- القدرات 4- الاتجاهات

فالمعلومات هنا والبيانات لا تتحول الى معرفة، الا اذا استفاد منها الانسان في عملية اتخاذ قرار، اذا ان جهاز الكمبيوتر سهل عملية تجميع وخزن وتحويل الرموز الى معلومات، ولكن الكمبيوتر نفسه لا يخلق المعرفة، فالمعرفة هنا يكونها الانسان ويطورها بالاستفادة من الاجهزة الاتصالية من حوله والوسائل الالكترونية فضلاً عن الاساليب والوسائط التقليدية الاخرى كاللتنشئة والتعليم. فالمعرفة الانسانية في هذا اليوم اصبحت من اهم عوامل الاقتصاد والسياسة وغيرها من المجالات الانسانية وما لم نستطيع فهم المعرفة وطرق تكوينها فاننا قد نقع ضحية لبحر من المعلومات والبيانات الهائجة والمتزايدة يوم بعد يوم.

وتنظم المعرفة على البنى الرمزية التي تمتلك عبر التعليم الرسمي والدروس المستفادة من خبرات العمل والحياة وتشمل الحقائق والقصص والصور وموجهات السلوك البشري. موثقة او شفاهة او ضمنية، وتشمل المعرفة المؤسسية لمجتمع ما على التاريخ، والثقافة والتوجهات الاستراتيجية والاشكال التطبيقية.(4)

ويشير بعض المفكرين امثال (راسل) و (دراكر) الخبير في الادارة، الى ان المعرفة في جوهرها امر شخصي بالنسبة للانسان ومسألة خصوصية، اما المعلومات فهي على العكس من ذلك انها عاملة ويمكن الحصول عليها. فالمعرفة هنا لا يمكن نقلها بمجملها الى الاخرين، وقد يعترضها بعض التغيير اثناء محاولة نقلها، كما واننا عندما نحاول ان نتقاسم معرفتنا بشأن

(4) تقرير التنمية الانسانية العربية لعام 2003 م ، مصدر سبق ذكره، ص 36.

موضوع ما مع شخص آخر، فإن ما ننقله يصبح في اثناء عملية التواصل معلومات لا تلبث ان تصبح عند استقبالها مرة اخرى جزءاً من المعرفة، ولكنها معرفة شخصية للمتلقي⁽⁵⁾ والمعرفة الانسانية كما بين العديد من الفلاسفة والمفكرين، بانها تتشكل بواسطة اسلوبين من الاستخدام العقلي: الاول هو الاستنباط، حيث يمكن الانسان من استنتاج المعرفة بالاعتماد على مفردات منطقية وثابتة تدل عليها. والثاني هو الاستقراء* الذي يقوم على اساس التجربة التي يمكن للانسان قياسها ودراستها واحصائها.

وبهذا فان المعرفة، قد تكون صريحة (مدونة، مسجلة بشكل صور او اخرى) او ضمنية (التصرف او السلوك البشري التلقائي) وان انتاجها لا يقتصر على الاشكال التقليدية للعلم والبحث العلمي بل تنتج المعرفة كذلك عن صنوف التعبير الادبي والفني والنشاط الانتاجي للثقافتين العالمية والشعبية.

وتأسيساً على ذلك فإن المعرفة، هي حصيلة هذا الامتزاج الخفي بين المعلومات والخبرة والمدركات الحسية والقدرة على الحكم، فنحن نتلقى المعلومات ونتمثلها في عقولنا، نطبق عليها آليات الاستنباط لأستخلاص المعرفة الضمنية الكامنة بها، وآليات الاستقراء لتوليد معرفة جديدة انطلاقاً منها.⁽⁶⁾

⁽⁵⁾ عن: مايكل هيل، اثر المعلومات في المجتمع، دراسة لطبيعتها وقيمتها واستعمالها، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، 2004م، ص 40- ص 41.

* الاستقراء: هو ذلك الاسلوب التجريبي الملموس والمحسوس والقائم على تحصيل العلوم من خلال التجربة والممارسة، اذ يعتمد على العلوم الطبيعية والاجتماعية وعلى مفاهيم الاحصاء التي تتحدث عن الاحتمالات وبالطبع فان الاستقراء يتطور مع تطور تجارب الانسانية في مختلف العلوم.

⁽⁶⁾ نبيل علي، اقتصاد المعرفة: المعنى والمغزى، مصر، مجلة وجهات نظر، وجهات نظر في الثقافة والسياسة، م5، ع⁵⁹، 2003م، ص 29.

• أصناف المعرفة

وعلى هذا الاساس تصنف المعرفة الى ثلاث انواع رئيسية حسب التطور العقلي للانسان فهي:

أ- المعرفة الحسية: وهي التي يكتسبها الانسان عن طريق اللمس والاستماع والمشاهدة المباشرة، اذ تقتصر على مجرد ملاحظة ظواهر بسيطة تقف عند مستوى الادراك الحسي العادي دون ان تتجه الى ايجاد الصلات او تسعى الى ادراك العلاقات القائمة بين الظواهر، وهذا النوع من المعرفة بسيط باعتباره ان ادلة الاقناع متوافرة (لموسة) او ثابتة في ذهن الانسان.

ب- المعرفة الفلسفية: وتعتبر المرحلة الثانية من مراحل التفكير الانساني، ف وراء الامور الواقعية المكتسبة بالملاحظة تاتي مسائل اهم ومطالب ابعد تعالج بالفعل وحده وتتناول الفلسفة هذه المسائل بالدراسة والبحث، ولا يقتصر على العالم الطبيعي وحده بل ترتقي الى عالم الميتافيزيقي اي بحث ما وراء الطبيعة-

وهذا النوع من المعرفة يتطلب النضج الفكري والتعميق في دراسة الظواهر الموجودة، حيث ان مستوى تحليل الاحداث والمسائل المدروسة يوجب الالمام بقوانين وقواعد علمية لأستنباط الحقائق عن طريق البحث والتمحيص.

ج- المعرفة العلمية: وهذا النوع من المعرفة يقوم على اساس الملاحظة المنظمة للظواهر وعلى اساس وضع الفرضيات العلمية الملائمة والتحقق منها عن طريق التجربة وجمع البيانات وتحليلها.⁽⁷⁾

(7) ابتهال الصلوي. مصدر سابق. وكذلك معتصم زكي السنوي، ايضاً مصدر سابق.

وقد قسمها البعض الآخر الى عدة معارف منها:

- أ- معرفة رياضية او امبريقية.
- ب- معرفة رسمية او سردية.
- ج- معرفة دارجة او متعمقة.
- د- معرفة مدركة بالحواس او مستنتجة بالعقل.
- هـ- معرفة استقرائية ومنهم من قسمها حسب مجالها وطبيعتها الى (8).
- و- معرفة علمية: تركز على علوم الطبيعات.
- ز- معرفة اللسانيات: ويأتي على رأسها علم اللغة.
- ح- المعرفة الكامنة وراء الفنون: حيث يعتبر الفن في جوهره ضرب من المعرفة.
- ط- معرفة الخبرة العملية: وهي المعرفة الدارجة.

• مستويات المعرفة

اما من حيث مستويات المعرفة او المادة المعرفية فهي تبدأ ب :

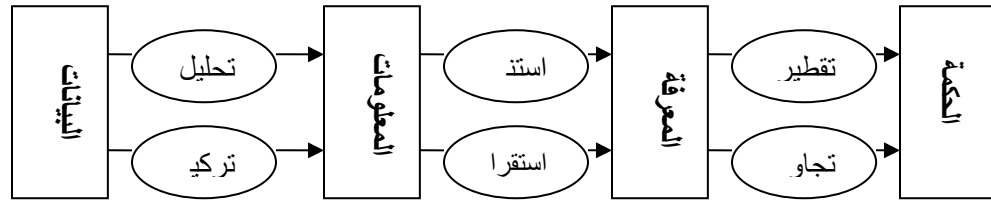
- 1- البيانات، وهي حقائق موضوعية غير مترابطة، تصبح معلومات عندما يتم تصنيفها وتنقيمها وتحليلها ووضعها في اطار واضح ومفهوم للمتلقي. والبيانات مثل الارقام والاحرف والاحصائيات الخ.
- 2- المعلومات، وهي بيانات مشغولة في معانٍ ودلالات واضحة.*

(8) نبيل علي، اقتصاد المعرفة، مصدر سابق، ص 30 ومابعدها.

* يشيع في استعمال العامة اعتبار المعرفة والمعلومات كلمتين مترادفتين كلن وحسب ما اكده العديد من الكتاب والباحثين، ان المعلومات ليست المعرفة وانما هي الامكانيات والاستعدادات التي تهيئ حصول المعرفة، فالمعرفة هي معلومات عولجت بالبصيرة لتصبح فهماً ومن هنا نخلص الى ان المعرفة اكبر من مجرد تراكم للمعلومات وان الكلمتين ليست بالتالي مترادفتين. وان كان من الممكن استخدامها على سبيل الترادف بصورة متكررة في الحوارات اليومية.

3- **المعرفة**، اذ يتم تحليل تلك المعلومات وتفسيرها وتشخيصها وتاويلها وصولاً الى بناء نظم ذهبية تحيط بالظاهرة او الحدث. حيث تتضمن المعرفة مستوى الفهم والاستيعاب واعادة الصياغة وابرار العلاقات والدلالات الضمنية.

4- **الحكمة**، وتمثل اعلى مستوى للمعرفة، حيث عندها تتحول المادة الفكرية الى توجيهات كبرى في الحياة تمثل المواقف والمرجعيات الاساسية للسلوك والافكار. وقد تعاني المجتمعات في ظل التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال و الفيض المعلوماتي الهائل من ندرة الرؤى وقحط في الحكمة رغم التراكم المعرفي الضخم الذي تتبادله المجتمعات وتسعى تلك الوسائل لنشره.⁽⁹⁾



* مسار الارتقاء من مستوى البيانات الى مستوى المعرفة وصولاً الى الحكمة

فاذا اقرأنا مقالاً معيناً او شاهدنا برنامج ما، ولم نستخلص منها شيئاً مفيداً تصبح المواد بالنسبة لنا عبارة عن بيانات او معلومات نسبية، لكن مشاهد او قارئ اخر ربما يستخلص معلومات هامة منها. لها قيمتها بالرغم من ذلك مالم توضع تلك المعلوماتي مكانها الملائم ضمن قاعدة المعرفة، وتحلل وتفسر تبقى قيمتها محدودة بالنسبة لديه ولن تشكل تلك المعلومة الجديدة اي اضافة الى قاعدة المعرفة لديه ضمن الواقع القائم فالمعلومات هي الحقائق التي

⁽⁹⁾ د. مصطفى حجازي، علم النفس والعولمة، رؤى مستقبلية في التربية والتنمية، عمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2003، ص226.

نستخلصها من البيانات- كما بينا سابقاً- والمعرفة نبينها على ترابط المعلومات المختلفة في
بنية منطقية متماسكة.(10)

(10) د. احمد محمد صالح، الانترنت والمعلومات بين الاغنياء والفقراء، القاهرة، دار الامين للنشر والتوزيع، سلسلة
كراسات غير دورية، مركز البحوث العربية للدراسات العربية والافريقية، ، 2001م ، ص 16.

فالمعرفة على هذا الاساس، في جوهرها امر شخصي، ومن عناصرها الاساسية الفهم والعلاقة بالقيم، وهي تتكون وتزداد بالفكر وباكتساب المعلومات وباعمال العقل لتقييم نوعية هذه المعلومات الجديدة واستخدامها وعواقبها على ضوء المعرفة الموجودة لدى المتلقي.

ويمكننا ان نحدد بعض الاشكال التي نتلقى بها المعلومات والمعارف سواء بالانترنت او من خلال القنوات الفضائية او طباعياً ام شفويّاً، فهي تتضمن:⁽¹¹⁾

1- الحقائق المفردة: كتاريخ حدث ماض او عنوان احد العقارات او منطوق نظرية او صيغة مادة كيميائية وغيرها.

2- بيان محكمة وموجزة ومختصرة باي طريقة كانت: مثل عناوين الاخبار او عنوان مقال في دورية او صحيفة الكترونية.

3- تراكم الحقائق او البيانات: كما هو في المعاجم ودليل الهاتف، والموسوعات والكتالوجات والايصالات، وبنوك المعلومات... الخ.

4- الكتابات الانشائية: مثل المقالات الادبية او الفنية، التشريعات ومواصفات براءة الاختراع، الكتب المرجعية، التقارير، الدراسات المسحية للاسواق، التقارير الاستعراضية للبحوث، ومقالات الصحف المطبوعة او الالكترونية.

5- المعلومات الصورية والمرئية السمعية: الصور الفوتوغرافية، نشرات الاخبار والافلام الوثائقية والتاريخية في القنوات التلفزيونية، لوحات الرسامين.

⁽¹¹⁾ مايكل هيل، اثر المعلومات في المجتمع: دراسة لطبيعتها وقيمتها واستعمالها، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، مصدر سابق، ص 37 وما بعدها.

• المبحث الثاني

• مجتمع المعرفة

تعتبر المعلومات والمعارف مورد اساسي في اي نشاط انساني، والمعلومات عنصر مهم في علاقة الانسان بمجتمعه وعلاقة المجتمعات بعضها ببعض من النواحي السياسية-الثقافية- والاقتصادية، علماً ان هناك ثلاث خصائص اساسية تتحكم في مجتمع المعرفة والمعلومات هي:

1-**الخاصية الاولى:** استخدام المعلومات كمورد اقتصادي حيث تعمل المؤسسات والشركات على استغلال المعلومات والانتفاع بها في زيادة كفاءتها وهناك اتجاه متزايد نحو شركات المعلومات لتعمل على تحسين الاقتصاد الكلي للبلدان.

2-**الخاصية الثانية:** الاستخدام المتناهي للمعلومات بين الجمهور بشكل عام، اذ يستخدمون المعلومات بشكل مكثف في انشطتهم كمستهلكين وهم يستخدمون المعلومات ايضاً كمواطنين لممارسة حقوقهم ومسؤولياتهم داخل مجتمعاتهم، فضلاً عن انشاء نظم المعلومات التي توسع من اتاحة التعليم والثقافة لكافة افراد المجتمع. وبذلك تعتبر المعلومات من العناصر التي لا غنى عنها في الحياة اليومية للافراد.

3-**الخاصية الثالثة:** ظهور قطاع المعلومات، حاله حال قطاعات الاقتصاد، حيث كان يقسم النشاط الاقتصادي تقليدياً الى ثلاث قطاعات هي الزراعة- المجتمع الزراعي- الذي يعتمد الموارد الاولية، والصناعة- المجتمع الصناعي- ويعتمد على الطاقة المولدة (كهرباء- غاز- طاقة نووية...)، وقد اضاف علماء الاقتصاد والمعلومات منذ عقد الستينيات من القرن الماضي قطاع جديد وهو قطاع (المعلومات)، اذ اصبح انتاج المعلومات وتجهيزها وتوزيعها ومعالجتها نشاطاً اقتصادياً رئيسياً في العديد من دول العالم.

ومن هنا تحول المجتمع الصناعي كما نراه الى مجتمع معرفي معلوماتي، بشكل غدا اكثر اتساعاً وتنوعاً وبذلك يقول البعض ان مجتمع المعلومات هو المجتمع الذي تستخدم فيه المعلومات بشكل كثيف كوجه للحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية. ومجتمع المعرفة او المعلومات يعتمد في تطوره بصورة رئيسية على المعلومات والحاسبات وشبكات الاتصال، اي بمعنى اعتماده على التكنولوجيا الفكرية التي تظم سلعاً وخدمات جديدة مع التزايد المستمر للقوة العاملة المعلوماتية التي تقوم بانتاج وتجهيز ومعالجة ونشر وتوزيع وتسويق هذه السلع والخدمات.⁽¹²⁾ كما عرفه تقرير التنمية الانسانية العربية لعام 2003م بأنه "هو ذلك المجتمع الذي يقوم اساساً على نشر المعرفة وانتاجها، وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصاد والمجتمع المدني والسياسة والحياة الخاصة وصولاً للارتقاء بالحالة الانسانية باطراد اي اقامة التنمية الانسانية"⁽¹³⁾، وانه المجتمع الذي يعتمد اساساً على المعلومات الوفيرة والمعارف كمورد استثماري وكسلعة استراتيجية وكخدمة وكمصدر للدخل القومي وكمجال للقوة العاملة⁽¹⁴⁾.

ان من نتائج التقدم الهائل في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال حدوث تغيرات جذرية واسعة في اساليب الحياة المعاصرة وخصوصاً التي اثرا على طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، واستحداث بعض التغيرات في النظم والمؤسسات الكبرى في المجتمعات المتقدمة فالمجتمع المعاصر الذي وصفه البعض بأنه مجتمع الالكتروني او السلبي⁽¹⁵⁾ والتي تتدفق فيه المعلومات في سهولة ويسر بحيث يمكن الحصول عليها من مصادر كثيرة دون عناء او تكاليف باهضة واصبحت المعرفة والابداع فيه من اهم العوامل المؤثرة والمحددة في مجتمع لا

(12) عبد الله الطويرقي، علم الاتصال المعاصر، مصدر سابق، ص 269.

(13) المكتب الاقليمي للدول العربية، تقرير التنمية الانسانية العربية لعام 2003م نحو اقامة مجتمع معرفي، عمان، المطبعة الوطنية، 2003، ص 2-3.

(14) محمد فتحي عبد الهادي، اسس مجتمع المعلومات وركائز الاستراتيجية العربية في ظل عالم متغير، دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، م 4، ع 3، 1999/9م.

(15) مفتاح محمد دياب، مجتمع المعلومات دراسة في نشأته ومفهومه وخصائصه، لندن، مجلة المكتبات العربية، دار المريخ، ع¹، س 17، كانون الثاني 1997م، ص 36 و 45.

يقنع باستخدام المعلومة والمعارف لفهم واقع الحياة واحداثها وتفاعلاتها والاستفادة منها في توجيه مختلف انماط الانشطة وخاصة في مجال الاقتصادي وانما انتاج المعرفة وتسويقها بحيث تصبح مصداراً اقتصادياً رئيسياً يحمل في ثناياه بذور الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ويتطلب ظهور المجتمع المعرفي توافر امكانات خاصة تهيء الفرصة للاضطلاع بالاعمال والانشطة الجديدة التي تتفق مع التحول الى انتاج المعرفة واعتبارها سلعة تجارية تعرض للبيع والشراء وتكون مصدر دخل للمجتمع المنتج لها. وبطبيعة الحال فان هذه الاعمال والانشطة الجديدة والمستخدمه ستكون ذات طابع خاص ومتميز وتعتمد على ادوات ووسائل واساليب جديدة تماماً تحتاج الى توافر نوع خاص من التعليم والتدريب يتناسب ويتلائم مع الظروف والايضاح الجديدة ويؤهل للقيام بالمهام الصعبة التي سوف تستخدم فيها هذه المعرفة، وهي مهام تتصل بشكل مباشر بتقديم الخدمات العامة التي سوف تمتد الى مجتمعات ومناطق بل الى اشخاص لم يكونوا يحصلون عليها من قبل، وهناك مؤشرات يمكن الاعتماد عليها من تحديد ووصف المجتمع المعرفي مثل مدى الاهتمام بالبحث والتنمية والاعتماد على الكمبيوتر والانترنت والقدرة التنافسية في مجال انتاج ونشر المعرفة على مستوى العالم.

ومن الجدير بالذكر، ان المجمع المعرفي او المعلوماتي ولد من خلال التزاوج ما بين تكنولوجيا الاتصال وتكنولوجيا المعلومات التي اصبحت من الصعب التفريق بينهما نظراً للتطورات اللاحقة والسريعة لنظم تلك التقنيات ذاتها. اذ تندمج معدات تخزين الاصوات والصور (اقراص - اشربة فيديو) مع الآت المعالجة والحساب مع الاقمار الصناعية في شبكات متعددة ومعقدة، تنتج للمستخدم في اي مكان في العالم الحصول على المعلومة التي يريد من اي قاعدة بيانات او بنك للمعلومات وبخصوص اي من المعارف العلمية او التقنية المعاصرة من خلال وسائل الاتصال السريعة والفورية سواء اكانت على الارض ام في الفضاء.

• مميزات مجتمع المعرفة

ومن هنا فإن المجتمع المعرفي يتميز بعدة من المميزات والخصائص منها، توافر مستوى عال من التعليم ونمو متزايد من قوة العمل التي تملك المعرفة وتستطيع التعامل معها وكذلك القدرة على الانتاج باستخدام الذكاء الصناعي وتحول مؤسسات المجتمع الحكومية ومنظمات المجتمع المدني الى هيئات ومنظمات - ذكية - مع الاحتفاظ بأشكال المعرفة المختلفة في بنوك المعلومات والبيانات وامكان اعادة صياغتها وتشكيلها او تحويلها الى خطط تنظيمية، وذلك فضلاً عن وجود مراكز للبحوث القادرة على إنتاج المعرفة والاستفادة من الخبرات المتراكمة والمساعدة في خلق وتوفير المناخ الثقافي الذي يمكنه فهم مغزى هذه التغيرات والتجديدات وبتقبلها ويتجاوب معها.

وهذا المجتمع قادر على انتاج البرمجيات (اشكال المعرفة المختلفة) وليس هذا حسب وانما استخدام وانتاج المعدات الصلبة او الاجهزة التي تستخدم في الحصول على المعرفة. واذ كان العمل في المجتمع الصناعي يعتمد على المعرفة المتاحة فان المعرفة في مجتمع المعرفة الحالي تعتبر هي (العمل)، لذا تحتاج هذه المعرفة الى مراجعة مستمرة كما تحتاج الى تكنولوجيا الاتصال والمعلومات حتى يمكن تحويلها الى مشروعات وسلع تقوم عليها اقتصاديات المعرفة في المجتمع الجديد وبذلك تحديد نوع المعرفة التي سوف يحتاج اليها المجتمع والتي يمكن تطبيقها وتسويقها " فالمعرفة التي لا تباع ولا تشتري عديمة الجدوى والفائدة".

وبما ان البلدان النامية، تواجه قضية خطيرة تتمثل في عدم الاستفادة من امكانيات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتحسين الانتاجية ونوعية الحياة. فقد عقد مؤتمر تحضيرى لمنطقة غربي اسيا، للقمة العالمية لمجتمع المعلومات في بيروت للفترة 4- 6 شباط 2003م* قيمت فيه

* عقد مؤتمر منطقة غربي اسيا التحضيري للقمة العالمية لمجتمع المعلومات في بيروت لبنان في الفترة 4- 6 شباط 2003م، وشارك في المؤتمر ممثلو الدول الاعضاء في اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا التابعة للامم المتحدة، مكتب اليونسكو للدول العربية في القاهرة والوكالات والمنظمات الدولية والاقليمية والقطاع الخاص والمجتمع المدني. وسيتم انعقاد القمة العالمية لمجتمع المعلومات في تونس 2005م .
انظر: www.itu.int/wsis الاتحاد الدولي للاتصالات.

حالة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في البلدان العربية وبلدان غربي اسيا، كما توصل المشاركون للتعجيل بالانتقال الى مجتمع المعلومات في بلدان المنطقة.⁽¹⁶⁾ للحاق بركب التطورات المتسارعة والاستفادة قدر الامكان من المعارف الموجودة سعياً للنهوض بالتنمية الانسانية في تلك البلدان.

⁽¹⁶⁾ ينظر الى الملاحق (اهداف المؤتمر، مبادئه، قراراته).

• العولمة المعرفية

لم تكن المعرفة في يوم من الايام قابلة للحجز في مكان من الاماكن في بقعة محدودة من الارض، بل كانت دائماً تحمل صفة الانتشار وحتى اذا اتم حجزها لفترة ما ولأسباب امنية او اقتصادية كانت هناك فرصة تتحرر فيها تلك المعرفة في اماكن اخرى من العالم لتنتقل الى عقول الناس. فالذي يولد المعرفة (ينتجها) هو في البداية من يحصد ثمارها. ثمار اكتشافها او ابتكارها. لكن في نهاية الامر تكون ملك الجميع وملك من يوظفها ويستخدمها بالشكل الصحيح.

ولقد استطاعت الحضارات الحديثة ان تأخذ من الحضارات القديمة لتستفيد منها وتضيف عليها، بما يتلائم معها وتوظيفها لتبني بذلك تميزها الحضاري والمعرفي، فما تراه من اثار للذين سبقونا ماهي الا نتاج تراكم معارف الحضارات القديمة السابقة، ولا يتوقف الامر على ذلك، وانما كانت الحضارات المتزامنة تتبادل المعارف فيما بينها وتتخذ تلك العلاقة اشكال مختلفة منها التجارة وتبادل السلع والافكار والمهارات وحتى من خلال الغزوات والحروب التي ترافقها ايضاً نقل وتبادل الافكار والمهارات.

والذي ساهم في نقل المعارف وتبادلها، سواء في الحضارات القديمة او الحديثة هي وسائل الاتصال والاعلام بمختلف ادواتها وكان لها الدور الرئيسي في تسهيل ونقل تلك المعارف وتبادلها بين الامم والشعوب. وهناك عدة عمليات يمكن من خلال اكتشاف جوهر العولمة المعرفية في الوقت الحاضر، منها ما يتعلق بانتشار المعارف والمعلومات بحيث اصبحت مشاعة لدى جميع الناس في كل الاماكن وبنفس الوقت. والثانية تتعلق بتذويب الحدود الجغرافية و السياسية والأطر القانونية بين الدول. والثالثة يتعلق زيادة معدلات الاعتماد على المعرفة في كافة مجالات الحياة انتاجاً وتوظيفاً خصوصاً ما يتعلق بالمعارف العلمية والتقنية.

وما يهمننا هو انتشار تلك المعارف المفيدة للتقدم العلمي والتقني الذي يسمو ويرقى بالجنس البشري، على مستوى العالم ومعطياته الاقتصادية، فالمعارف وبمختلف أنواعها قابلة للنقل والتبادل والتوطين الذي يفسح المجال امام احتمالات الابداع والاضافة. وقد يأتي هذا النقل والتبادل مدعماً من قبل الطرفين - الناقل والمنقول اليه- عندما تكون بينها مصلحة ما.

فانتقال المعرفة وتبادلها وانتشارها من خلال وسائل الاتصال والادوات المعلوماتية، على مستوى العالم يحمل معطيات جديدة للدول الساعية للتقدم حيث تستطيع ان توظفها وتستفيد منها لدعم التنمية فيها والرقى بالانسان نفسه داخل مجتمعاتها، هذا فضلاً عن قدرتها فيما بعد لمنافسة الدول المتقدمة ايضاً. وتأسيساً على ذلك فان الاهتمام بالمعرفة باشكالها المختلفة، بان متطلباً رئيسياً يسعى اليه المتطلعين الى مستقبل افضل في ظل الثورة التكنولوجية والعلمية التي انبعثت نهاية القرن العشرين وما رافقها من متغيرات طالت جميع الاصعدة السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية...الخ.

والعولمة المعرفية، بالرغم من انها تاتي بوفرة معرفية هائلة لا تعترف بالحدود ولا بالزمان الا انها في نفس الوقت يمكن ان تاتي بنتائج سلبية او مخاطر ثقافية كبرى، فعلى الرغم من وجود وتعدد القنوات الفضائية وانتشار شبكة الانترنت والتي جعلت من العالم (قرية صغيرة) وتعدد مضامين تلك الوسائل واختلافها، إلا انها قد توظف من قبل مالكيها لأغراض بعيدة المدى سياسية او اقتصادية، فبدلاً من ان تكون تلك الوسائل اداة لنشر المعرفة، التي تفيد المتلقي وتنمي قدراته وتطور وعيه وافكاره، فانها تكون وسيلة لـ (نخر) فكره وتشهيت وعيه.

فالكه الهائل من المعلومات التي اجتاحت المجتمعات، ضمن مخطط مبرمج- تسعى اليه الشركات متعددة الجنسية والدول المتقدمة- شكل جبهة عريضة من المعارف والافكار والعقائد لأختراق العقول فيها. واشاعة الانماط السلوكية والاستهلاكية للغرب. ضمن عمليات دعائية- نفسية استهدفت العقل البشري من حيث اعادة تشكّل ذاكرته وخلق الانسان النمطي الجديد⁽¹⁷⁾ انه الغزو الثقافي.

يقول الجابري "اننا معرضون لغزو ثقافي مضاعف، غزو كاسح يحدث على مستوى عالمي، تمارسه الدول الاستعمارية التقليدية، والوسائل المستخدمة هي نفسها، الاعلام بالمعنى والواسع والمتشعب، الاعلام الذي يغزو والعقل والخيال والعاطفة والسلوك ناشراً قيماً ومكامن خصوصيتها"⁽¹⁸⁾ الغزو هنا هو مرحلة غزو النفوس والافكار، بعد ما غزت القوة الابدان والاجساد منذ مئات السنين، والغزو الثقافي والمعرفي في ظل العولمة والتطورات الاتصالية والمعلوماتية هي شرط اساسي لغزو يعتبر اهم واكثر فائدة إلا وهو الغزو الاقتصادي والمالي والتكنولوجي⁽¹⁹⁾. في زمن اصبحت فيه الكلمة الاخيرة للشركات متعددة الجنسية والمنافسة قائمة على رجاها داخل مراكز البحوث والتطوير. وبما ان الوسائل الاتصالية الحديثة كالانترنت والفضائيات التفاعلية اصبحت مصدراً اساسياً للمعلومات والمعارف الى جانب استخدامها في تشكيل اتجاهات وقيم الافراد، فانها اعطت الدول التي تمتلكها وتنتجها، إمكانية فرض ثقافتها على افراد المجتمعات الاخرى، ولعل تقنيات الاتصال تلك وتنامي خطاب العولمة، هي احدى وسائل تميّط وتأطير الافراد والجماعات لأعلى مستوى الانتاج المادي والمعرفي حسب، بل على مستوى استهلاك المادة الاعلامية والاتصالية نفسها.

(17) د. ياس البياتي، الاستراتيجية الاميركية للغزو الاعلامي: اهداف واساليب الاختراق للوطن العربي، بغداد، مجلة شؤون سياسية، ع²، آذار 1994م، ص 52.

(18) محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، ص 57.

(19) يحيى اليحياوي، موقعه على شبكة الانترنت (عن العولمة وتكنولوجيا الاعلام والاتصال).

ومن الجدير بالذكر، انه ليس كل من يكتشف او يبتكر يذاع او ينشر، فكثير من المعارف والمعلومات تحجز ولربما تكون حكراً على فئة معينة، ومثال ذلك ان الدول المتقدمة شددت من خلال منظمة التجارة العالمية من حقوق الملكية الفكرية وارتفعت تكلفة الحصول على المعلومات و التقانة خصوصاً امام الدول النامية المستوردة بكثافة لهذه المنتجات. فنقل المعرفة والمعلومات والثقافة نفسها ليس حراً ايضاً.

